من اجـــل وعـــي انتخابي

حسن علي العتابي

في كتاب من الواح سومر نجد عنوان (اول برلمان ذي مجلسين) وهو اول (برلمان) سياسي معروف في تاريخ الانسان المدوّن، التأم في اول جلسة خطيرة في حدود (٣٠٠٠ ق.م) فسبق بذلك شريعة حمورابي بما يزيد على مائة وخمسين عاماً.. وجاءت المجالس السياسية في بلاد الاغريق الديمقراطية، وفي روما الجمهورية بعده بزمن طويل .. كان المجلس المذكور مؤلفاً من مجلسين، مثل برلماننا في العهد الملكي، مجلس الشيوخ (الاعيان) ومجلس العموم (النواب) — حسين جميل من مقدمة كتابه الحياة النيابية في العراق — وتدور عجلة التاريخ لتطوي قروناً من الزمن، ذهبت خلالها اقوام وامم وشعوب، وجاءت غيرها.. نشأت في تلك العصور حضارات متعددة، وانظمة اجتماعية متباينة بتركيبة سلطاتها، وقوانين مؤسساتها، وطبيعة دور الشعب فيها.. كان التطور في الحياة هدف جميع الشعوب، وغايتها المثلى اثناء تلك العصور.. منها من وعى اسرار التقدم فأفلح .. ومنها من بقي اسير قيود لا يقوى على التحرر منها فأخفق .. واليوم ونحن في بداية الالفية الثالثة، ونعيش عصر التطور العلمي والتقني نجد ان المجالس البرلمانية التي جاءت عن طريق انتخابات ديمقراطية قد اسهمت الى حد كبير في مسار التطور الحضاري، وقادت الشعوب نحو الافادة من معطيات العصر على طريق بناءالمجتمع المدني .. والبقاء دائماً للاصلح..

لقد كانت لشعبنا وهو يعد العدة لإجراء انتخابات قريباً تجربة برلمانية بدأت بإنعقاد اول مجلس للنواب في بغداد يوم السادس عشر من تموز عام ١٩٢٥، واستمرت بتعاقب ستة عشر مجلساً في ظل اثنتين وخمسين وزارة، انتهى دورها صباح يوم الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨، ينبغي الرجوع اليها وتقليب اوراق وقائعها للافادة منها.. خاصة وان الحديث عن تلك التجربة وعن قوانينها وترشيحاتها وفرسانها حديث طويل .. في طياته مواقف ومواقف، منها وطنية صادقة، ومنها مسحورة ببريق المناصب، ومفتونة بجمع المال الحرام، وتبحث عن الجاه .. وفي الحديث ايضاً علامات بارزة تمثل حياة شعبنا في مرحلة سياسية عاشها سبعاً وثلاثين سنة. عبّرت صورها عن طبيعة النظام ومحتوى قوانينه في ادارة البلاد، ومن بينها قانون انتخابات المجالس النيابية الذي نص -بإختصار- على اجرائها بمرحلتين، وعلى حرمان المرأة من حق طبيعي في التصويت والترشيح..

يحتفظ اولئك الذين تابعوا تلك الانتخابات مرشحين كانوا ام ناخبين، ام متابعين ومراقبين بالعديد من التناقضات والمفارقات والوان المغريات، والتهديدات التي رافقتها ايضاً في جميع الدورات.. فعندما يجري التحضير لإنتخابات برلمانية جديدة، تفتح السلطة ابواب الترشيح واسعة امام الجميع، تعبيراً عن الحرية والنزاهة (كذا!!) فيمضي طلاب النيابة مسرعين لدفع تأميناتهم. وتجيز لإبن الموصل ان يرشح عن البصرة وابن بعقوبة عن الكوت او العمارة، والبغدادي عن الشطرة حتى حصل ان فاز مرشح عن لواءين في دورة واحدة .. ومن نقطة بداية العمل الانتخابي تضع السلطة قانونها الانتخابي الذي شرعته بنفسها جانباً لتتخذ من توجيهات وزير الداخلية الى متصرفي الالوية هي القانون لضمان فوز مرشحيها تزويراً كان ام تزكيةً وهو ما يعني بأبسط المقاييس والقواعد تجاهلاً متعمداً لآراء الناخبين، واستخفافاً بأصواتهم، وعرقلة ممارستهم لحقوقهم بشتى الوسائل، بإستثناء المنتخبين الثانويين الذين يبلغون دون غيرهم بيوم الانتخابات المزعوم، ليدلوا بأصواتهم لإعتبارات معروفة وقتذاك .

وعلى تلك الطريقة والاساليب المنافية لأبسط حقوق الانسان، حرمت اجيال واجيال من الناخبين من ممارسة حقهم الانتخابي الذي قرأوا عنه نصوصاً قانونية عصت على التطبيق، ومضت العقود من السنين دون ان ترى عيونهم في الاقل صناديق اقتراع .. ولا ايديهم امسكت ورقة انتخاب سوى الزعيق الذي ملأ الآذان بحرية الانتخابات ونزاهتها.

وفي بغداد مثلاً والبصرة والموصل والنجف ومدن اخرى يشعر المتتبع على الرغم من قيود القانون القاسية - بالاجواء الانتخابية، ويشاهد المرء مظاهر التنافس بين المرشحين من جهة وبينهم وبين السلطة من جهة اخرى التي طالما مزقت رداء النزاهة ففضحت نفسها امام عيون من عاصر تلك الفترة من جيلنا وشاهد وقائع الانتخابات (القره قوشية) ولمس مهازلها او اكتوى بنارها..

بإنتفاضة تشرين الثاني من عام ١٩٥٢ ارغمت القوى الوطنية مجتمعة السلطة على اصدار مرسوم تضمن قانوناً جديداً للانتخابات النيابية المباشرة —على درجة واحدة- ولكنه خلا من حق للمرأة ايضاً في التصويت والترشيح..! الا ان عقلية السلطة الانتخابية - على الرغم من التغيير القانوني الذي شكل نقلة نوعية وقتذاك- بقيت متمسكة بالتعليمات العليا.! التي لم يتبدل نهجها المعادي لإرادة الشعب وتطلعاته. وقد برز ذلك في اجراءاتها القمعية القاسية في انتخابات ٩/٦ /١٩٥٤ جمعت الجبهة الوطنية ابرزها ورفعتها الى وزير الداخلية قبل الانتخابات بأيام، كما اشارت الى بعضها في حينه ايضاً جريدة (القاعدة) كمنع المرشحين من زيارة مناطقهم الانتخابية، واعتقال آخرين او ابعادهم، وحظر الاجتماعات الجماهيرية، واشاعة الاجواء الارهابية لمنع الناخبين من الوصول الى صناديق الاقتراع.. ومحاصرة بعض المدن كالنجف والحي والسليمانية.. اضافة الى مارافقها من طرائف مضحكة، ومهازل تثير السخرية..

ان الجبهة الوطنية التي ضمت الاحزاب الوطنية والنقابات والاتحادات والمنظمات المهنية والاجتماعية، قد اتخذت من تلك الانتخابات ساحة عملية واسعة لنشر الوعي الانتخابي بين الجماهير، وفرصة لإثارة حماسها على طريق ممارسة حقها الطبيعي، وتحويلها حقاً الى معركة انتخابية، يدرك الشعب بها مباشرة اهمية التصويت وتأثيره على نتائج العملية الانتخابية.. وبذلك وعت الجماهير ابعاد تلك المعركة، وحقيقة اهدافها فوجدت فيها فرصتها للتعبير عن آرائها وفرض ارادتها، فإرتفعت الشعارات لتغطي جميع المناطق الانتخابية في العراق.

واحاطت بعيونها المراكز الانتخابية..ففي المنطقة الخامسة من بغداد على سبيل المثال، تجسد وعيها الانتخابي واضحاً صباح يوم الانتخابات وقبله.. فقد زحف الناخبون مبكرين ليحافظوا على سير العملية الانتخابية اولاً، ويغلقوا ابواب التزوير ثانياً، وحراسة الصناديق وهم يهزجون مرددين: (نايبنا نائل سمحيري نايبنا نائل سمحيري) فكان حقاً نائبهم الذي منحوه الولاء والوفاء. فكان ذلك موقفاً من المواقف الكثيرة التي تجلى فيها الوعي الانتخابي، ومزاج التحدي الذي تحلت به غالبية الجماهير.

فإنتزع الشعب بجبهته الوطنية، ووضوح شعاراتها التي تبناها الناخبون احد عشر مقعداً من مجموع ١٣٥ مقعداً، اثارت قلق السلطة، فأعدت خطة لئيمة لإطفاء جذوة تلك المعركة، بدأت بعقد جلسة الافتتاح، والقاء خطاب العرش، فإنتخاب رئيس للمجلس ..تم تعطيله في اليوم التالي، ليحله نوري السعيد بإرادة ملكية تمنح وزارته الثانية عشرة التي اطلق عليها (وزارة المراسيم) الحق بإجراء انتخابات نيابية جديدة في ظروف حملة شرسة واسعة عمت البلاد بأسرها، لتمرير حلف بغداد والمشاريع الاستراقاقية التي ينوي تنفيذها..

لئن عرف نوري السعيد بين الاوساط السياسية والشعبية بأنه هو راعي المجالس النيابية الفعلي في جميع دوراتها، فإن تلك المجالس لم تكن محصنة من انتقادات الباشا المرة، ولومه العنيف.. فذات مرة خاطب معارضيه من النواب (انا اراهن كل شخص يدّعي بمركزه ووطنيته، فليستقل الآن ويخرج، ونعيد الانتخاب، ولا ندخله في قائمة الحكومة .. ونرى هل يخرج نائباً؟.. انكم مدينون لي بنيابتكم .. ذلك اني انا الذي وضعت اسماءكم في قائمة الحكومة واخرجكم المتصرفون نواباً .. واني اتحدى كل واحد منكم وسواكم ان يستقيل من النيابة، وان يفوز بالنيابة اذا لم تضع الحكومة اسمه في قائمتها).

المصدر السابق ص٦٩

ووصف نائب المنتفك السيد عبد المهدي تلك المجالس بقوله:(كانت المجالس النيابية تحل لسبب ولغير سبب.. وان مجالس من هذا النمط وعلى هذا الطراز، وتؤلف على هذه الصورة، وتطرد على صورة اخرى لا يرجى منها خير، ولا يعتمد عليها في محاسبة المسؤولين..)

- المصدر السابق ص٧٢

ومع كل ما تقدم لم تخل قبة البرلمان في جميع الدورات من اصوات سميت بإسم الشعب، فكان الفرق واضحاً بين دور نائب فاز عن طريق الشعب فنال ثقته وحبه واحترامه،واهتمام الصحافة الوطنية وتقديرها، واعتزاز القوى الوطنية، وثناء المجتمع .. وبين دور آخر صار نائباً عن طريق قائمة الحكومة فبات يسبح بحمدها، ويقيم صلواته في محراب الباشا السعيد.

الفرق بين أن تقرأ التاريخ وأن تعيش فيه !

كريم كطافة

أتخيل مشهداً على صفحة خيالي التعبان، عبارة عن شاشة مقسومة على نفسها. في القسم الأول منها عالم الكترونيات شاب جالس في مكتبه أمام شاشة كمبيوتره الشخصي، منهمك في معالجة نقطة تبدو غير مرئية في خارطة إلكترونية على شاشة الجهاز، يعتقد أن سبب الأعطال في حوادث الطيران خلال العشرين سنة الأخيرة تكمن فيها، يكبرها ويصغرها، وهو يتملى فيها، عله يخرج من كواليسها المتناهية صغراً على العالم بتقنية جديدة تجعل احتمال حصول حوادث الطيران تقترب من الصفر بالمئة. في القسم الثاني من الشاشة يطلع علينا شاب ملتح بملابس تشبه ملابس (عباس بن فرناس) على قمة جبل. منهمك في ترتيب أوضاع الجناح الثاني من أجنحة (بن فرناس). أمامه كومة من الريش، يحاول تصنيفها كبيرها وصغيرها، عله ينتهي من صنع الجناح الثاني، الذي سيواصل فيه تجربة طيران (بن فرناس) بين القمة والهاوية.

بعد التمعن في المشهد، طرح خيالي المريض عدة احتمالات: احتمال أن يصل الشاب الأول إلى بغيته ويجعل حظوظ الحوادث تقترب من الصفر بالمئة، واحتمال أن لا يصل إلى ذلك الصفر المبتغى، لكنه في كل الأحوال سيعيش ليكرر التجربة مرة أخرى، وفي أسوأ الاحتمالات، قد يموت الشاب ليس بسبب أبحاثه، إنما موت لسبب آخر كباقي البشر، لكنه سيترك رقماً وصل إليه ليس هو الصفر، سيأتي بعده شاب آخر ربما من جيل آخر يكون قادراً بفضل تطور تقنيات، تراكم تجارب، ذهن متوقد، موهبة نادرة.. الخ ليزحزح الرقم الذي وصل إليه الأول إلى الصفر. بينما ظل احتمال المشهد الثاني هو ذاته، سينتهي الشاب الفرناسي لا محال في الهاوية كومة عظام متداخلة في بعضها ومع بعضها، قد يجد من يدفنه، أو يتخذ جسده المدمى قبراً له في بطن كاسر من الكواسر.

سيعتقد من يقرؤني كما اعتقدت أنا بانتماء مشهدي الخيالي إلى الكاريكاتير، لكني أزعم إنه صورة طبق الأصل لما يحصل الآن. كيف..؟ إليكم الوقائع:

بعد الانتصار الباهر والمروع للسيد (بن لادن) على جيوش الكفار في غزوتي نيويورك وواشنطن، أقنع أتباعه ومريديه وكل اليائسين من التغلب على الجبروت الأمريكي والإسرائيلي، إنه منقذ الأمة وأن الزمن هو زمن الرسالة الأولى. أفلح في (أفغانستان) قبل الغزوتين الكبيرتين أن يؤاخي بين الأنصار والمهاجرين (الأفغان العرب والأفغان الأفغان)، وإن كان ذلك التآخي قد حصل على حساب الأوس/ الأفغان. في (أفغانستان) كذلك كانت قبيلتان متنافستان، واحدة تنتمي إلى الشمال والثانية إلى الجنوب (الأوس والخزرج). ولما لم تفلح جهوده مع الآوس/ تحالف الشمال، عمل الخزرج/ طالبان على تصفيتهم، حتى كاد أن ينتهي منهم بعد عملية اغتيال زعيمهم (شاه مسعود). بعد أن استتبت له يثرب/ أفغانستان شبه كاملة. قرر التفرغ للغزو. منذ ذلك الحين إلى الآن قام بثماني غزوات ناجحة هي: نيويورك، واشنطن، الدار البيضاء، الرياض، النجف، كربلاء، الكاظمية، أخيراً غزوة مدريد. بالنسبة لهذا السيد الذي يتخيل إنه يعيش أيام الرسالة الأولى، لم يكن مهماً ردود أفعال الكفار، غير مهم أعداد القتلى والجرحى بين المدنيين من غير المحاربين، غير مهم الدمار الذي ستسببه ردود فعل (الكفار) على غزواته في بلاد المسلمين، غير مهم احتلال يثرب/ أفغانستان وقلب نظام الخزرج فيها إلى نظام آخر فيه للأوس مثلما للخزرج، غير مهم أن أمريكا احتلت العراق، غير مهم أن يتحول المسلم في كل زاوية من العالم إلى مشتبه به على قائمة الإرهابيين المطلوبين لأجهزة الاستخبارات العالمية والوطنية، غير مهم أن يشوه الإسلام كدين ليصبح مرادفاً لإرادة القتل والدمار، غير مهم أن تتسيد إسرائيل على المنطقة العربية بفضل قوتها الفعلية وردود فعل العالم على غزواته، غير مهم أن تتحول قضية الشعب الفلسطيني من قضية أرض محتلة وشعب يكافح لاسترجاع أرضه إلى قضية منظمات إرهابية يستعجل العالم أمر الانتهاء منها قبل اتخاذ أي خطوة باتجاه حل قضية الاحتلال الإسرائيلي.. كثيرة هي الأشياء غير المهمة في عرف هذا السيد الآتي من الخيال المريض متصوراً نفسه نبياً معاصراً وعلى رأسها جميعاً تأتي الحياة ذاتها، فلم تعد الحياة هي المهمة.. صار الشعار الجهادي هو طلب الموت بأنجع وأسهل وأسرع وأضمن طريقة لبلوغ تلك الآخرة المشتهاة في مكان ما من السماء.

الآن وبعد أن تيقن ذلك السيد من نجاح كل غزواته، وصل إلى مرحلة صلح الحديبية، ها هو يعرض على أوروبا صلحاً. في ذهنه أن أوروبا وهي كافرة ستوافق على صلحه صاغرة بعد أن رأت ما رأت من غزواته.. عندها سيستغل هو، فترة الصلح لتجميع أنصاره ومهاجريه والإعداد النهائي ليوم الفتح المبين، يوم فتح نيويورك وواشنطن.

الفرق يكون قاتلاً بين أن تقرأ التاريخ دون أن تنسى لحظة واحدة إنه تاريخ، وبين أن تقرأه وتعيش فيه.

الطغيان.. شرقي ام غربي

الدكتور حامد الظالمي/ جامعة البصرة

لم يجرؤ احد على انتقاد الطغاة في الامبراطورية الاسلامية الا القليل وخاصة بين رجال الدين ولكننا نعجب من جرأة الشيخ عبد الرحمن الكواكبي وغيره في ذلك فبعد تأليفه لكتابه طبائع الاستبداد قُتل بالسم ولكن صرخته في نهاية الكتاب ظل صداها يتردد(يا قوم جعلكم الله من المهتدين كان اجدادكم لا ينحنون الا ركوعاً لله وانتم تسجدون لتقبيل ارجل المنعمين ولو بلقمة مغموسة بدم الاخوان، واجدادكم ينامون الآن في قبورهم مستوين اعزاء وانتم احياء معوجة رقابكم اذلاء، البهائم تودّ لو تنتصب قاماتها وانتم من كثرة الخضوع كادت تصير ايديكم قوائم، النبات يطلب العلو وانتم تطلبون الانخفاض لفظتكم الارض لتكونوا على ظهرها وانتم حريصون على ان تنغرسوا في جوفها فإن كانت بطن الارض بغيتكم اصبروا قليلاً لتنامو فيها طويلاً) (طبائع الاستبداد ضمن المؤلفات الكاملة للكواكبي ص٥١٢) قبل هذا النص الكواكبي انتقد من يقوم بترويج الكلمات التي تؤكد على الاستكانة والضعف والخنوع وانتقد من يعمل بها ويحذر الناس منها، امثال قول بعضهم (الدنيا سجن المؤمن)، (المؤمن مصاب)، (اذا احب الله عبداً ابتلاه)، (هذا شأن آخر الزمان)،(حسب المرء لقيمات يقمن صلبه) وان هؤلاء لا يذكرون للناس الاحاديث التي تؤكد على الحرية والعمل مثل (ان الله يكره العبد البطال) و(اذا قامت الساعة وفي يد احد منكم غرسة فليغرسها) لأن امثال هؤلاء المتاجرين بأحاديث الضعف والاستكانة يرفعون مسؤولية العذاب عن المستبدين ويلقونها على القضاء والقدر ويقولون ان الخير من السلطان والشر من القضاء والقدر. فالسلطان ظل الله في الارض، و(الظالم سيف الله ينتقم به ثم ينتقم منه) و (الملوك ملهمون) وهكذا فالكواكبي قال مالم نستطع قوله بعد مئة سنة من وفاته وكشف عن الدواء المخدر الذي سقاه هؤلاء المروجون للامة، وصوروا القرآن الكريم كتاباً يهتم بأمور الآخرة فقط وبالوعد والوعيد والجنة والنار وكأنه كتاب لما بعد الحياة الدنيا، ولكن كواكبياً آخر هو الدكتور علي شريعتي انتفض من جديد قائلاً (القرآن هوالكتاب الذي يبدأ بالله ويُختم بالناس كتاب اخذت اسماء اكثر من سبعين سورة من قضايا انسانية واكثر من ثلاثين سورة من سوره من سوره من ظواهر مادية، وهناك اسماء سورتين فيه فحسب من العبادات وهما الحج والصلاة) (كتاب ابي وامي نحن متهمون ص١٢١). الغريب في الامر انه قبل مئة سنة او اكثر كان للحرية طعم آخر يستشهد من اجلها الرجال والادباء والشعراء، فجبرائيل دلال (١٨٣٩-١٨٩٢) شاعر مسيحي من حلب كان من الشعراء الاوائل الذين يستشهدون في سبيل حرية الفكر في العصر الحديث اذ كان من الشعراء الاوائل الذين يستشهدون في سبيل حرية الفكر في العصر الحديث اذ كان يهجو الرجال الذين اتخذوا الدين غطاء لطغيان الملوك فتوفي في السجن بسبب قصيدته (العرش والهيكل) التي انتقد فيها الطغاة ادركوا (سيكولوجية الاغلبية او غريزة القطيع فإتجهوا الى مشاعر الناس لا عقولهم واكتسبوا التأييد من خلال تعطيل العقل والهاب المشاعر ... اذ يسهل جذب الجماهير عن طريق العواطف والمشاعر لأن المناقشات العقلية او طرح الافكار قد تثير جدلاً ..) (ص٦٦) وغالباً ما يسعى هؤلاء الى رمز الميت المقدس فقد تكون عبارة (اعطوني ميتاً فأخلق لكم حزباً) كلمة معروفة وهكذا يتحكم الموتى بالاحياء بواسطة هؤلاء الطغاة، وهكذا يتم استغلال الموتى والشهداء واصحاب المواقف وتعاد قراءة ذلك وفقاً لآلية استبداد قائمة على شرعية هؤلاء.الامر لا يتعلق بسلطة دينية فقط (ونحن لا نقصد هنا السلطة الدينية كجهة محددة بل السلطة المطلقة في جميع العالم) بل ان العلمانيين قد مارسوا ابشع الدكتاتوريات على الاطلاق فجرائم العصر الحديث وحروبه ومظالمه معظمها مارسها اناس ليس لهم علاقة بالدين وبحجج كثيرة من قبيل وحدة البلاد او الدفاع عنها او قمع الثورات او محاربة الارهاب او غير ذلك ومن قال أن الدول المتطورة هي قاعدة الانطلاق في عملية النهوض الحضاري فلو اطلعنا على الازمات الاجتماعية الموجودة لحمدنا الله على حالنا (فمعدلات الجريمة في ارتفاع مستمر وانتشار المخدرات والانحلال الاخلاقي والجنسي في تزايد وحوادث الانتحار الجماعي وتفكيك الاسرة والشذوذ الجنسي والعدوان على الطفولة لإشباع النهم الجنسي..) (العقل والتجديد لؤي صافي ص٦٧) وعندما ننتقد وعينا الشرقي يفترض بنا كذلك انتقاد القدسية الاوروبية التي تضفي على بعض الكتابات التافهة هالة من القدسية وحتى على مستوى الفكر الفلسفي فمثلاً هيغل جعل من اوروبا (القارة التي تحقق الفكرة) والفكرة عنده هي المطلق الذي ينشدُ اليه كل تطور وتقدم عبر التأريخ كله وكذلك حاول كارل ماركس تبرير احتلال انكلترا للهند كونه سيعمل على نقل الهند الى مستوى المجتمع الحديث ناظراً الى التوسع الاستعماري الانكليزي بوصفه عملية ارساء اسس المجتمع في آسيا (كتاب المشروع النهضوي العربي مراجعة نقدية د. عابد الجابري ص٢٢).فالاستبداد هو واحد في كل الاحوال سواء اكان عند الغربيين ام عند الشرقيين ولكنه عند الغربيين قد يتحول من الاستبداد الى الاستعمار أي ينطلق الى الخارج في حين يبقى الاستبداد الشرقي منحصراً في ممارسة العنف نحو مواطنيه، لأن الغربي كما يقول الكواكبي (يعشق حريته واستقلاله ثم ينطلق تجاه الآخر فهو حريص على القوة والعزة والمزيد فيهما لأنه ابن المستقبل والجد. والشرقي يغار على شرفه وكأنه مستودع فيه فهو ابن الماضي والخيال لذا يسهل تسييره على قانون الامراء فهو مرتاح للهزل واللهو وتسكين الآلام طلباً للراحة ويتألم عندما تذكره بالحقائق) (طبائع الاستبداد الاعمال الكاملة ص٤٩١).

امبراطورية أمريكيّة؟ إنســـوا الأمـــر

ترجمة نوال لايقة

يصف الرئيس بوش الحرب على العراق بأنها «المعركة الأساسية ضد الإرهاب». وهو قول يشي بأخطاء أمريكا في هذه الحرب أكثر مما يشي بها أي شيء آخر. فالاستراتيجية الأمريكية نفسها كانت متصدعة، وغير متوازنة - حيث بذلت مجهوداً كبيراً ضد العراق ولم تبذل المجهود اللازم ضد الإرهابين. وتجاهلت التسلّح الكوري، واستخدمت الحرب على أنها الطريقة المفضلة - وليس كخيار أخير وشتت هذه الحرب بشكل وحيد الجانب (من قبل أمريكا) بدلاً من الحصول على تحالف. ولم تبد أمريكا الانتباه اللازم لنشاط (القاعدة) في الباكستان والسعودية. مع سقوط تمثال صدام حسين في نيسان قبل الماضي، تردّدت الأقوال والآمال عن صعود امبراطورية أمريكية جديدة. لكن ذلك كان وهماً وخطأً، وهذه الأقوال لن تقود إلى النجاح في العراق بل ستعرض للخطر كل ما تتمتع به أمريكا اليوم. يمكن لأمريكا أن تصبح أكثر أمناً وأكثر قوة إلى الأبد. ولكن لتحقيق ذلك عليها أن تتخلى عن أفكارها حول نفسها امبراطورية جديدة وتستبدل هذه الأفكار برؤية استراتيجية جديدة. حان الوقت كي تعيد أمريكا النظر في استراتيجيتها حيال الأمن والسلام العالمي. عليها العودة إلى القيم الأساسية. أول هذه القيم هو السعي إلى كسب الحلفاء والأصدقاء في العالم. كما كنا نفعل خلال الحرب الباردة ونعمل على نشر قيم الحرية والديمقراطية والكرامة الإنسانية في العالم كله. وثانياً، علينا دعم المنظمات الدولية، والعمل من خلالها، بدءاً من الأمم المتحدة والناتو. فبمقدور هذه المنظمات دعم السياسات الأمريكية والمساعي الأمريكية الديبلوماسية مما سيشجّع الآخرين على تحمّل المسؤوليات والمخاطر مع أمريكا، بدلاً من أن تتحملها أمريكا وحدها. الأمم المتحدة بشكل خاص قادرة على إضفاء الشرعية على الغايات والأفعال الأمريكية. الأمم المتحدة والناتو، كلاهما بحاجة إلى تحسين. ولا يمكن تحقيق هذا التحسين إلا من خلال القيادة الأمريكية البنّاءة، لأن أمريكا هي القوة العظمى الوحيدة التي تملك القوة والوسائل اللازمة لتحقيق ذلك. أخيراً، علينا تحديد دور قوّاتنا المسلحة في استراتيجيتنا. لنا الحق دوماً في الدفاع عن أنفسنا، بما في ذلك الحق في شن الضربات الوقائية، ولكن يجب ترك استخدام القوة كخيار أخير - وبشكل غير أحادي إن أمكن. بالعمل من خلال هذه المبادئ، علينا إصلاح علاقاتنا مع حلفائنا وراء المحيط. فالولايات المتحدة وأوربا تمثل نصف إجمالي الناتج المحلي العالمي، وهي تحتل ٣ من أصل ٥ من المقاعد الدائمة في مجلس الأمن. وهي الدول الأكثر تحالفاً - سياسياً وثقافياً - مع الأمم المتحدة. وهذه الدول تمثل المستثمر الأساسي في اقتصاديات بعضها البعض. علينا التخلي عن الرؤية البريطانية التي تعود إلى القرن التاسع عشر والتي مفادها أنه ليس لدينا أصدقاء دائمين بل لدينا مصالح دائمة فقط. علينا أن نسعى إلى كسب الأصدقاء والحلفاء الدائمين وأن نعمل على أن تكون مصالحنا متقاربة. باستخدام هذا التحالف كقاعدة، علينا الانطلاق لمواجهة التحديات الأمنية، التي تعترضنا - البرنامج النووي في كوريا وإيران، خطر منظمة القاعدة وغيرها من الإرهابيين. علينا العمل بالتعاون مع حلفائنا كي نجد حلاً للصراع بين الهند والباكستان وللصراع في الشرق الأوسط وعلينا العمل من خلال الأمم المتحدة لتخفيف الضغوط عن أفريقيا. والأهم من كل ذلك هو توجيه حربنا ضد الإرهاب كي تركز على الإرهابين أنفسهم بدلاً من التركيز على الدول الممولة لهم. هذا يعني وضع قوانين محلية ودولية أكثر صرامة ومساعدة الدولة الصديقة في جميع أنحاء العالم على تحديث وسائلها كي تصبح قادرة على مساعدتنا في الحرب على الإرهاب واستخدام القانون كوسيلة أساسية، وأولى في سبيل ذلك علينا العمل مع الأمم المتحدة لتعزيز مساعينا بالسلطة والإرادة الدولية. وعلينا الانفتاح على الحوار مع دول مثل سوريا وإيران، بدلاً من وقف هذا الحوار - وعلينا أن نستخدم كل ما بحوزتنا من وسائل وكل حلفائنا للتأثير على سياسات ونشاطات هذه الدول. كما أن على استراتيجيتنا أن تركز على الأسباب التي تؤدي إلى ظهور الإرهاب الإسلامي: الإيديولوجية الوهابية المتطرفة والتمويل في السعودية. المجتمع الباكستاني الفاسد المقسّم على أساس التفاوت في المنزلة الاجتماعية والذي يعاني من الإفقار والفقر، والصلة القوية والدائمة مع الفلسطينيين، قضية الإرهاب تنشأ عن إحساس عميق بالظلم والعجز. ولهذا فإن ربح الحرب على الإرهاب يقتضي إصلاحات عميقة في مجتمعات الشرق الأوسط - تأمين التعليم والتنمية الاقتصادية وضمان حق المشاركة السياسية - إضافة إلى التوصّل إلى تسوية عادلة وشاملة بين إسرائيل والفلسطينيين. علينا تأمين الموارد اللازمة، لتحقيق كل هذه الإصلاحات. يجب أن يكون في أمريكا وكالة على مستوى الحكومة مزوّدة بخطط تطوير للمساعدة في تحقيق التطورات السياسية والاقتصادية خارج أمريكا. يمكن أن نسمّي هذه الوكالة: وزارة التنمية والتطوير الخارجي، سيساعدنا هذا على تركيز جهودنا على التخلّص من الفقر والصراعات الاثنيّة بدلاً من تركيز هذه الجهود على شن الحروب. ستبقى الصدمة والغضب الناجمان عن هجمات ١١ أيلول ماثلين في ذاكرتنا، ولكن، حان الوقت الآن كي نخوض الصراع بذكاء. نحن لسنا بحاجة إلى (الامبراطورية الأمريكية الجديدة). إن مجرد فكرة الامبراطورية هي فكرة مهترئة. إن هذا العالم المعاصر الذي تعتمد أجزاؤه على بعضها البعض، لن يقبل بفكرة السيطرة والتفوق لإحدى الأمم على غيرها من الأمم. بدلاً من ذلك، نحتاج إلى استراتيجية أمريكية تبدي استعداداً أكبر للتعاون وقبولاً أكبر لفكرة الانتماء إلى الكل. ويجب أن تقوم هذه الاستراتيجية على المبادئ الأمريكية العظيمة: التسامح، الحرية والعدالة، التي حوّلت هذه البلاد إلى منارة للأمل.

كسب الحروب الحديثة: العراق، الإرهاب والامبراطورية الأمريكية. المؤلف: الجنرال ويسلي ك. كلارك (مرشح ديمقراطي سابق) الناشر: مارستون